آليات انسجام النصّ القرآني عند المفسرين :
تفسير محمد الطّاهر ابن عاشور لسورة المجادلة أنموذجا.

أ/ أحمد برماد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة–

مقدمة:

منذ نزول القرآن المعجز على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم تتوقف عقول المهتمّين به عن البحث والتّنقيب في بنيته، وسرّ بلاغته وإعجازه، وإن اختلفت زوايا البحث والاستقراء فإن هدفها في كل مرة هو التّنقيب عن هذا السر الجمالي ، والسّبك الفريد الذي تميز به النص القرآني عن غيره من النصوص البشرية الأخرى، وتبعا لهذا فقد تنوّعت الوسائط والوسائل المعينة على بلوغ هذه الغاية المرجوّة ، والتي يتحقق بها كمال الاعتقاد، وراحة الإيمان بفرادة الخطاب القرآنيّ وألوهية مصدره.

لم يتوقّف العقل العربيّ –كما أسلفنا– في البحث عن سر هذا السبك العجيب، والبناء المتناسق الذي ميّز النصّ القرآني على مستواه الإفرادي ممثّلا في أصغر مستوياته (الكلمة، والآية البسيطة)، إلى أكبر مستوياته تركيبا وتعقيدا ممثلا في (السورة والنص القرآني ككل)، وقد استعان العقل العربي بكل ما من شأنه أن يبرز تفرد النص وإعجازه من قواعد النحو والصرف، وأساليب البلاغة والبيان، والخبرة الطويلة في تصريف الكلام العربي وفنونه، ونقد الشعر والنثر العربي على مدار عهود وأزمنة مديدة.

وإذا كان هذا البحث الدائم والدؤوب عند العرب المشتغلين بإعجاز النصّ القرآنيّ وبلاغته وبيانه لم يتوقف منذ التلقّي الأولى لهذا النص، فإنه قد رافقه نشاط مواز، خاصة في الفترة الحديثة من جمهور المستشرقين الذين كان همّهم تصيّد ثغرات – هكذا خيل لهم– في النصّ القرآنيّ فاتحين بهذا أبواب الطعن فيه، وفي نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما أبحاث (نولدكه، وبلاشير، وجولدتسيهر...) وغيرهم إلاّ خير دليل على ذلك. حيث اختلفت مزاعم الطّعن فيه سواء من حيث نسبة القرآن للمولى عزّ وجلّ، وكونه من صنع واختراع الرسول – صلى الله عليه و سلم– ،أو الطعن في الأداء والقراءات القرآنية، أو السعي إلى بث الشّبهات في ترتيب المصحف

وسوره وآياته فاتحين نوافذ الشك في هذا الأمر ضاربين عرض الحائط ما اجتمعت عليه الأمّة ، وأيّدته الوقائع والأحداث التاريخيّة.

وإذا عدنا إلى الدراسات العربية التي تناولت النصّ القرآني المعجز، فإننا نلاحظ اختلاف الآليات المتّبعة في ذلك لغويّة وغير لغويّة، وقد استمر هذا النّظر إلى يومنا هذا مع تطوّر وسائل النظر وتقنيات الممارسة، خاصة مع انفتاح الممارسة العربيّة على مناهج متعددة وتطبيقات وافدة بإمكانها مقاربة النصّ القرآنيّ واستكناه جوانب أخرى للإعجاز فيه، وإننا إذ نتحدث في هذا المقام عن الوسائل والآليات الوافدة ،فإنّنا نقصد بذلك تطوّر الدرس اللّغوي واللّساني الحديث، وخاصة ما تعلق بانتقال مجال الدراسة والبحث من مجال الجملة إلى مستوى النصّ، ونضوج الجهاز المفاهيمي لكثير من النظريات اللسانية الحديثة التي أثبت جهازها المفاهيمي ما يسمى بالقدرة التّفسيرية التي تعني قدرتها على مقاربة أكثر الأشكال اللّغوية تعقيدا، وإذا كان النص القرآني شكلا لغويا أساسا ، فإنه يعطينا مشروعية أكثر للاستعانة بمنجز النظرية اللّسانية في مقاربة النصّ القرآنيّ في سبيل بحث خفاياه وأسراره الكامنة التي تأبى الجلاء دفعة واحدة.

ونقصد في هذا المقام بالنظريّة اللسانيّة ما أصبح يعرف الآن في الفترة المعاصرة بالنظريّة النصيّة بما تملكه من جهاز مفاهيمي واصطلاحي، وآليات إجرائية، و بما تملكه من قدرة على مقاربة النصّ القرآنيّ وإعطاء أجوبة أكثر وثوقا حين يتعلّق الأمر بأسرار بنائه وآليات اشتغاله، وبما تملكه من النظرة الشاملة غير التجزيئية التي دأبت لسانيات الجملة على اتبّاعها، ومع هذا فإننا لا ننكر أبدا غياب النظرة الشاملة، والرؤية الموسّعة الكلّية للنصّ القرآنيّ والذي حواه التراث العربي عبر مسيرته الطويلة والحافلة، وما أبحاث المناسبة والسّياق وأسباب النّزول... إلا أدلة قاطعة في الموضوع، وكتب التّفسير وعلوم القرآن شاهدة على ذلك.

إن بحث الآليات التي يشتغل بها النصّ القرآني والوسائل التي يتحقّق بها ترابط أجزائه وتماسكها، لن يتم إلاّ من خلال النظرة الكلّية والعميقة التي تمسك بالوسائل الشكليّة الماديّة، والوسائل الأخرى المعنوية (الدلاليّة والتداوليّة والسياقيّة) التي تبرز حقيقة إعجاز النصّ القرآنيّ، ونقصد في هذا المقام آلية الانسجام النصي بما هو مفهوم حديث ومصطلح معاصر، يعد محور النظريّة النصيّة، يرتكز على بحث الآليات التي يشتغل بها النصّ (أيّ نصّ)، والمقصود بالآليات

هنا الوسائل اللّغويّة وغير اللّغويّة التي يقوم عليها النصّ والتي تبرهن على تماسك بنائه وترابط أجزائه.

قد تبدو محاولة الاستعانة بمنجز النظريّة اللّسانيّة في إبراز تماسك النص القرآني أمرا غريبا خاصة إذا علمنا المحاولات التراثية القديمة، خاصّة ما تعلّق منها بعلم المناسبة الذي استقرّت مباحثه ونضجت إجراءاته، لكنّه سعي يكسب مشروعيّته من محاولة بحث كلّ ما من شأنه أن تقدّم اللّسانيات النصّية لإبراز التّرابط والانسجام في النصّ القرآنيّ، أو هو بحث لبنية النصّ القرآنيّ من وجهة لسانيّة خالصة، وقد استعّنا في هذا بما اشتمله تفسير محمّد الطّاهر ابن عاشور المشهور بـ: تفسير التّحرير والتّنوير" فنحاول أن نعيد قراءة آرائه في بنية النصّ القرآنيّ، لكن هذه المرة من ناحية لسانية صرفة خالصة، معتمدين على الجهاز المفاهيمي والإجراءات التطبيقية للّسانيات النصيّة المعاصرة.

في مفهوم الانسجام النصّي:

يحتل مفهوم الانسجام مركزا محوريّا في النظريّة النصيّة، وذلك لما له من أهميّة في إبراز نصيّة النصوص، والبرهنة على ترابط أجزائها وتفاعل العناصر ضمن النسيج النصّي، أو تفاعل العناصر والبنيات النصية مع العناصر أو البنيات الثّقافية والاجتماعيّة، أو مع منتج ومستقبل النص، والذي ينبغي أن نشير إليه في هذا المقام هو أن الانسجام يتعدّى مفهومه الظاهرة النصيّة؛ إذ هو ظاهرة كونيّة عامّة لا تختصّ بالنصّ/الخطاب فقط، وإنما يتعدى الأمر إلى كونه عاملا مهما في تفسير مختلف الظواهر الأخرى في الكون على أساس أن الكون كلّه يسير وفق مبدأ الانسجام "فالانسجام ظاهرة أنطولوجيّة تسود مختلف الظواهر الأدبيّة وغير الأدبيّة إن مباشرةً وإن إضمارا"(1)

وإذا عدنا إلى مفهوم الانسجام النصيّ فإنّنا ندرك بلا شكّ ذلك التخبّط الاصطلاحيّ والمفهوميّ الذي وقع فيه كثير من الباحثين خاصة في الثقافة اللسانية العربية الحديثة، إذ نجد تعدّدا مصطلحيا واضحا في توصيف المفهوم اللساني، كما نجد مفاهيم متعدّدة في المتن الشارح لمصطلح الانسجام(2)، وبعيدا عن هذا الارتباك الاصطلاحي يمكن القول إنّ الانسجام بوصفه معيارا من معايير النصية كما نصّ على ذلك "روبرت دي بوجراند" (R. de beaugrande)، وهو مبدأ يعنى ببحث العلاقات الخفيّة والثاويّة خلف النسق اللّغوي والنسيج النصّي الظاهر ، و التي

تجعل من هذا النسيج نصّا/ خطابا، وتتطلّب من متلقي النص قدرا كبيرا من الكفاءة من أجل اكتشافها والحكم عليها، ذلك أنها تعتمد على عناصر لغويّة أحيانا، وعناصر غير لغويّة في أحايين كثيرة، وبالتّالي يبرز لنا مدى الاختلاف الظاهر بين مصطلحي الاتّساق والانسجام؛ ذلك أن "الانسجام أعمق من الاتّساق، كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلّب بناء الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النصّ وتولّده، بمعنى تجاوز رصد المتحقّق فعلا (أو غير المتحقّق) أي الاتّساق، إلى (الكامن) ومن ثم، وتأسيسا على هذا التمايز تصبح بعض المفاهيم مثل موضوع الخطاب والبنية الكلية والمعرفة الخلفية بمختلف مفاهيمها حشوا، إن أردنا توظيفها في مستوى اتّساق النص /الخطاب، والعكس صحيح، أي أن الوسائل التي يتجلّى بها اتساق النص عاجزة عن مقاربة (بناء) موضوع الخطاب والبنية الكليّة .."(3)، وهي بلا شك نظرة متأثرة إلى أبعد الحدود بنظرية تحليل الخطاب ومفهوم الانسجام فيها كما رسمها كل من براون (G. Brown) ويول (G. Youle) في كتابهما "تحليل الخطاب"، وذلك حين أسندا مهمّة الحكم على الانسجام إلى المتلقّي بما يملكه من كفاءات نصيّة ومعرفة خلفية في تحديد عناصر الانسجام والحكم على نصّية النصّ، فتأويل المتلقّي هو الفيصل في تحديد النصّ المنسجم من غير المنسجم، وذلك من خلال عمليات ذهنية معقدة تقرّب الإنسان من الحاسوب، هذا التصور الذي أقامه الباحثان يبرّر تركيزهما على "انسجام التأويل" بدل "انسجام الخطاب"، وهو إجراء يشبه إلى حدّ بعيد ما قصده أيزر بالقارئ الضّمني في "عملية بناء المعنى وطرائق تفسير النصّ، حيث يفترض أن النصّ ينطوي على عدد من الفجوات هي بحاجة إلى رتق من أجل الوصول بالخطاب إلى غايته القصوى"(4)، فالملاحظ أنّ هذا المفهوم الذي سطّره "براون" و"يول "هو نفسه الذي سار عليه معظم الدّارسين كما نجد ذلك في معجم "المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب" فالانسجام " ليس ثاويا في النص بل إن المتلفّظ المشارك هو الذي يتولى بناءه (...) إن الحكم الذي يقضي بأن النصّ منسجم أو غير منسجم قد يتغيّر وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسياق والحجّة التي يخولونها للمتلفظ"(5)،وفي نفس السياق حمّل "المعجم الموسوعي للتداولية" المتلقّي مهمّة الحكم على النصّ بالانسجام أو عدمه من خلال قدراته التأويليّة بتوظيف معارفه السابقة والعمليات الذهنيّة المعقدة والمركبّة،فالانسجام هو البعد التأويليّ للخطاب(6).

إن الانسجام النصيّ وفق ما تقدّم مفهوم متشعب، وشامل في الوقت نفسه، وهو عمليّة عقليّة مسندة للمتلقي أكثر مما هي قائمة في البنية النصيّة، "فهو مجموعة من الإجراءات التي تستهدف تحقيق التّرابط، لكن هذا التّرابط يتم على الصّعيد المفهوميّ، فالمنطلق هو أن مرسل النصّ يمتلك مفاهيم و أفكار وتصوّرات عن العالم ينقلها إلى المتلقّي عبر النصّ باعتباره التحقّق الفعلي للمفاهيم والتّصورات والأفكار، والمتلقّي حين يستقبل النص ينشّط المفاهيم والتّصورات والأفكار المتطابقة، أو المقاربة لما لدى المنتج، وبطبيعة الحال هذه المفاهيم والتّصورات توجد في الذّهن وفقا لنظام وترتيب معينين وعندما تتم إثارتها لا يتم عزلها، ولكن يتم استدعاء ترابطاتها وأشكالها وتنظيمها، وهذا ما يشكّل سندا وخلفية للتّرابط"(7)، وعليه أمكننا القول إجمالا إنّ الانسجام معيار من معايير النصيّة يعنى ببحث العلاقات والصّلات غير الشكليّة أساسا والتي تتحكم في بناء النص/ الخطاب، وما دامت هذه العلاقات والصّلات ثاويّة خلف النّسق اللّغوي فإن مهمّة إبرازها والحكم عليها هي بلا شك من صميم مهام متلقي النص/ الخطاب بما يقوم به من عمليات تأويليّة وتفسيريّة، وفي هذا السياق نسعى إلى إبراز أشكال انسجام النصّ القرآنيّ من خلال الوقوف عند اختلاف قراءات(8)، النصّ القرآنيّ واختلاف الخلفيّة المعرفيّة للقارئ ومدى قدرته على اكتشاف العلاقات التي تحكم أجزاء النصّ القرآنيّ.

النص القرآني والبناء المتكامل:

ينفرد الخطاب القرآني عن غيره من الخطابات البشريّة في كثير من جوانبه، فهو خطاب معجز، محكم البناء، متناسق الأجزاء معجز الأحكام، خالد البقاء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بلفظ عربي مبين فصيح، تجاوز مذاهب العرب في كلامها، ولعل ما شدّ انتباه الدّارسين في النصّ القرآني هو مسألة البناء والتّأليف والترتيب، وهي المسألة التي تنبه إليها فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، مبكّرا في تفسيره إذ يقول في حديثه عن سورة البقرة: " ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك"(9)، والملاحظ أن السبب وراء هذا الكلام من المفسر هو قضية الجدل القديم/ الحديث في مسألة ترتيب آيات القرآن الكريم (ترتيب النّزول وترتيب التّلاوة) مع أنّ المسألة قد حسم فيها من الناحية الشرعية، ذلك أن مسألة الترتيب مسألة توقيفية بالإجماع، إلا أن هذا لم يمنع الدارسين من

العودة في كل مرة إلى لطائف هذا الترتيب وأسراره، والبحث في سبل ووجوه الإعجاز في الجمع بين الآيات في سورة واحدة مختلفة في زمان نزولها وفي مناسبة نزولها أيضا فقد كان " السّلف على وعي متقدّم بأن النصّ القرآني يشكّل نصّا واحدا منسجما رغم تباعد أوقات نزوله، وكان دافعهم إلى هذا هو البرهنة على أنّ ترتيب القرآن الكريم في المصحف الشريف الذي يخالف ترتيبه بحسب نزوله، من أسرار إعجازه"(10).

يرى كثير من الدارسين أن التراث العربي قد حفل بالدّراسات التي تثبت ترابط القرآن وهي مباحث المناسبة أو التناسب، وخاصة عند علماء القرآن والمفسّرين على أن أكثر عنايتهم كانت بالمستويات المعنوية أكثر من الجوانب اللفظية والصوتية وهو ما حدا ببعضهم إلى ضرورة اعتبار هذه المباحث والدراسات جانبا وفصولا مهمة يجب أن تضاف إلى مباحث إعجاز القرآن المتعدّدة: " وكان يجب –في اعتقادنا– أن يكون هذا العلم جزءا من مباحث إعجاز القرآن، ودعامة من دعائم التّفسير، لأن إظهار الإعجاز في البيان القرآني، لا يتمّ بدراسة الصور البيانية والأساليب البديعيّة الجزئيّة، ولا بدراسة أحوال التراكيب في حدود الجمل وحدها، وإنما يظهر بدراسة ذلك كله في سياق وحدة السور وارتباط الآيات، وتناسب معانيها"(11).

وغني عن الذكر في هذا المقام أن نشير إلى أن النص القرآنيّ لم يسلم من الطعن في هذه النقطة (قضية ترابط الأجزاء بسبب تباعد النزول) ،وخاصة من طرف بعض المستشرقين المتأثّرين ببعض الأفكار الشيعيّة المتطرفّة، وشايعهم في ذلك بعض الباحثين المعاصرين الذين سعوا بكل ما أوتوا إلى أن " ينفوا عن القرآن كلّ مظاهر النصيّة الموحدة للقرآن، وأنه ليس نصّا منسجما بالمعنى الحديث الذي يستلزم درجة كبيرة من التّرابط في مستوى التّأليف اللّغوي، فليس في القرآن نصّ مترابط ولا منسجم بل لا يوجد ذلك حتى في السّورة الواحدة"(12)، بل وتعدى الأمر أيضا ببعض المعاصرين إلى افتراض وجود طبقات من الغموض الدّلالي في القرآن الكريم أحيانا، وتشبيهه بديوان شعر من حيث تنوع موضوعاته واختلاف ظروف إبداع نصوصه وهو ما حدا – حسب رأيهم– بالعلماء إلى اكتشاف الاختلافات الأسلوبيّة بين القرآن المكّي والقرآن المدني(13)، بل ويتعدّى الأمر إلى أكثر من ذلك حين تنفى النصيّة عن القرآن الكريم "من الواضح أن التحليل اللسانيّ للقرآن سيمكننا من الوصول إلى حقيقة بسيطة قلما انتبه إليها المختصون وهي أن القرآن ليس نصّا واحدا، فهو وإن كان كتابا أو مصحفا، فليس نصا منسجما بالمعنى اللّساني لمصطلح

text والمشتقّ من النّسيج textile حيث يستلزم النّسج درجة كبيرة من التّرابط في مستوى التّأليف اللّغوي linguistic composition كالتّرابط cohesion والانسجام coherence وكذا في مستوى الوحدة الموضوعية بالإضافة إلى وحدة السّياق context وهذه العناصر نجدها غائبة في القرآن الكريم، بل وفي السورة الواحدة" وعليه فإن هذا الزّعم ينسف بلا شك كلّ الجهود التي تسعى إلى إبراز أوجه التّماسك الشكلي أو الدّلالي بين آيات القرآن الكريم وسوره، وبالتّالي تبقى مباحث المناسبة أو التّناسب بين الآيات من قبيل الترف الذي لا فائدة منه، ويلغي جهود الدارسين في ما يسمى بالتّفسير الموضوعي.

لا شك أن هذه الشبهة لا تقل حدّة عن ادّعاءات المستشرقين وآرائهم المتعصبة في بنية النص القرآني، وإنّ الملاحظ على عملهم في البداية أنه كان منصبا على بحث مدى تأثير الظروف المصاحبة لنزول الوحي من أحداث سياسيّة واجتماعيّة في مضمون الوحي، فرأى غير واحد منهم أنّه لا يمكن للمصحف الشريف بشكله الحاليّ –مصحف عثمان– أن يمدّنا بالصورة الواضحة عن هذه العلاقة ومدى تأثر نص الوحي بالأحداث السياسية والاجتماعية، عليه فإنّ أنسب حلّ لهذا الأمر هو إعادة ترتيب آيات وسور القرآن ترتيبا زمنيا تاريخيا بحسب نزولها، حتّى يتسنى لهم ربط نصوص الوحي بالأحداث التّاريخية "هذه النظرة إلى النصّ القرآنيّ ترمي – في واقع الأمر– إلى أهداف أعمق بكثير من مجرد ملاحظة نوعية الترتيب. إنّ علاقتها واضحة بجمع القرآن وتدوينه وتوحيده في مصحف واحد بعد أن كان في مصاحف عديدة، لعل الأمر في النهاية مرتبط بتشكيك المستشرقين في مصدريّة القرآن الكريم، ونسبته إلى محمد (ص) أو الصّحابة الذين عملوا على تدوينه"(14)، وعليه فإن الطّعن كلّ الطّعن موجه كما نرى إلى عملية الجمع والترتيب وذلك من خلال ادّعاء النقص في النص القرآني نظير العمل البشري الذي قام به الصحابة واجتهادهم في جمع نصوص الوحي في المصحف الجامع على الرغم من أن التّرتيب كما ذكرنا سابقا أمر توقيفي، ومع هذا يرى بعضهم أنّ هذه العملية لم تسلم من مخاطر –في زعمهم– وهي مخاطر سمّاها بعضهم بـ:" نظرية تشتّت النزول" والتي قد تتجلى في ثلاثة ظواهر رئيسية هي: التداخل، الشقلبة، والإيلاج:

فأما التداخل: فيعني نزول آيات من سورة ما في فترة نزول سورة أخرى: مثال سورة البقرة عند من يرى أنها في أواخرها ما تنزل بعد أوائلها ببضع سنوات، وأثناء ذلك نزلت سور وآيات من سور أخرى.

وأما الشقلبة فتعني نزول آيات متأخرة في ترتيب التلاوة لنفس السورة قبل نزول آيات متقدّمة عليها مثال سورة العنكبوت عند من يرى أن أوائلها نزل في المدينة بعد نزول السّورة بمكة ببضع سنوات.

وأما الإيلاج فيعني نزول آية أو شطر آية بشكل منفصل ثم إيلاجه ضمن سياق آيات نازلة قبلا أو بعدا(15) وهي في مجملها مطاعن مقدمة للقائمين على تدوين نصوص الوحي وجمعها خاصة في العصور الأولى وهو ما أشار إليه المستشرق "إيجناس جولدتسيهر" (Ignac Goldziher) في كتابه " العقيدة والشريعة" في حديثه عن عمل الصحابة، ذلك أنهم قاموا بعملهم أحيانا عل صورة غير مرضية، وهذا لا يظهر في السور المكيّة المتميزة بقصرها، فإنها كانت أقلّ تعرضا للتصحيف عند كتابتها بسبب إيجازها، أما السور المدنيّة "فيتجلى فيها عدم النظام والارتباط، وذلك ما سبّب كثيرا من المتاعب وأقام عديد الصّعاب في وجه المفسّرين في العصور التاليّة، الذين كان عليهم أن ينظروا ترتيب السّور والآيات على أساس أنه ترتيب أساسي ونظام جوهري لا يمكن أن يمسّ"(16)، وهي- كما نرى- نظرة مستمدّة من الرؤية السابقة الطّاعنة في صورة المصحف الحالية، التي يختلف فيها ترتيب التّلاوة عن ترتيب النزول، وأن الفهم الأمثل للنص القرآني في رأيهم –كما أسلفنا- يتم عبر العودة إلى ترتيب النّزول .

إن المدقّق في هذه المزاعم والمستقصي لتاريخها يرى أنها في معظمها قد استمدت حجيتها من مزاعم غلاة الشيعة ودعواتهم المغرضة وشبهاتهم المضلّة في النص القرآني وفي مصحف عثمان، وادعائهم النقص فيه، وإخفاء نصوص من الوحي ....، وغيرها من المطاعن التي لا تقف أمام النّقد العلمي والحجّة الدامغة، لأنها تحمل في طياتها ما يناقضها(17). هذا وإنّ المتأمل في هذه الدعوات المغرضة وخاصة الصادرة من المستشرقين ينبئ بلا شك عن قصور في الأفهام، ونقص في الخبرة في التعامل مع النصّ القرآني ولغة هذا النصّ" ولقد كان جهل المستشرقين الفاضح باللّغة وأدبها سببا في عدم إدراكهم الإحكام الفني والمعنوي بين الآيات بعضها مع بعض، وهكذا سور القرآن الكريم، ويبدو أن قراءة بعضهم لتفاسير القرآن الكريم محدودة، كما أن بعضهم

أعماه الحقد فرمى القرآن بعدم الترابط بين سور القرآن وكذلك بين آياته، والعجيب أن هؤلاء المستشرقين أجهل الناس بآداب شعرائهم وكتّابهم، ثم هم يقحمون أنفسهم على أدب القرآن وبلاغته فيقول بعضهم هنالك عدم ترابط في الآيات"(18).

لقد سبق علماء القرآن والتّفسير المسلمون إلى إثارة هذه القضايا، وعالجوها بحس لغويّ، ومعرفيّ دقيق، وبذوقهم وسجيتهم العربيّة أدركوا ما في القرآن من تجانس لفظي ودلالي كبيرين، فاكتشفوا أسرار الترتّيب وإعجازه، استنبطوا أحكام الآيات من هذا التّرتيب " والحقّ أن القرآن لم يخل من التّرتيب، فله فاتحة وخاتمة، وبينهما سور هي كأبواب الكتب، بل إن كل سورة تحوي مقدمة وخاتمة وبينهما المقاصد والتشريعات التي من أجلها نزلت، ولو لم يكن التّرتيب هكذا لحكمة عليا ولبيان ناحية من نواحي إعجاز القرآن تكمن في مناسبة الآيات والسّور لكان العدول عن ترتيبه على حسب النّزول خاليا من الحكمة بل كان ضربا من العبث"(19)، وهذا رد صريح وواضح على المشروع الاستشراقي الذي تزعمه "نولدكه" (Theodor Noldeke)، في سبيل إعادة ترتيب سور القرآن وآياته ترتيبا تاريخيا، وهي نظرة كما أسلفنا تفقد مشروعيتها إذا علمنا أن هذا الترتيب الذي عليه النص القرآني هو في حد ذاته جانب من جوانب الإعجاز في النص ، وذلك لكونه من ناحية أمرا توقيفيّا، ومن ناحية ثانية فإنه لا يمكن لأي نص أن تجتمع أجزاؤه بهذا الشكل رغم تباعد فترات التنزيل واختلافها، فإن النص القرآني استطاع أن يجمع أجزاءه في تناسق عجيب لم يخل من إعجاز، وهذا على الرغم من تعدد الموضوعات ضمن السورة الواحدة "فكثير من سور القرآن متعدّد الموضوعات، وذلك من النظرة الجزئيّة لكل موضوع في السور هذه، ولكن النظرة الفاحصة المتأمّلة للسورة ككل تضع فكر القارئ للقرآن أو التّالي له عند موضوع واحد تدور حوله السّورة، وتتشكّل موضوعاتها الجزئية بجوهر هذا الموضوع وتسهم في جوانب مجالاته ليؤدي كل منها غاية واحدة وهدفا واحدا، وهي غاية هذا الموضوع وهدفه الذي تدور حوله السورة القرآنية"(20)، وقد كانت هذه اللفتة مبكرة للنصّ القرآنيّ استوت مع مبحث المناسبة عند علماء القرآن والمفسرين فيما بعد، على الرغم من المعارضة الشديدة لبعض علماء الإسلام على الأمر واتهامهم للمعتنين بها بالتكلف، إلا أن هذا المبحث يبقى من اللّطائف الحافّة بالنصّ القرآنيّ، اجتهد فيها كثير من الدّارسين قديما وحديثا، وهي وجه من أوجه إثبات الصّلة والانسجام بين أجزاء القرآن الكريم.

إن علم المناسبة هو علم يهتم ببحث كيفيات ترابط الآيات بعضها ببعض، والسور القرآنية فيما بينها، وذلك بهدف إبراز أوجه الترّابط والانسجام بينها، وأنها لم ترتب ولم توضع في مكانها هكذا اعتباطا، وإنما لعلاقة معينة وحكمة ظاهرة، "فعلم المناسبات علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته إلى علم التفسير نسبة علم البيان إلى علم النحو"(21)، وهي تقريبا نفس الفكرة التي تطرق إليها برهان الدين الزركشي(ت 794هـ) سابقا في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، حين أشار إلى أنّ المناسبة: "أمر معقول ، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها –والله أعلم– إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص، عقليّ أو حسيّ أو خياليّ؛ وغير ذلك من أنواع العلاقات. أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلّة والمعلول، والنظيرين والضدّين، ونحوه ، أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"(22)، وعلى هذا الرأي فإن بين الآيات والسور وجوه ارتباط وعلاقات معنوية مختلفة، ووجودها جنبا إلى جنب ليس أمرا اعتباطيا بل تحكمه مجموعة من العلاّت والأسباب اجتهد علماء القرآن والتفسير في إبرازها وبيانها، وإن ذكر الزّركشي (ت 794هـ) بعض أوجه العلاقات بين الآيات والسور كالعموم والخصوص، أو السبب والمسبب...وغيرها، فإنّ الأوجه تتعدّد والصّلات تختلف، ويتوقف الأمر على الدّارس وقدرته في الإمساك بالعلاقة المعنوية بين آية وأخرى مجاورة لها كانت، أم في موضعين متباعدين، وقد عرف عن الزّركشي (ت 794هـ) دفاعه الواضح عن علم المناسبة وفي ذلك يقول: " قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا، فالمصحف على وفق ما في اللّوح المحفوظ، مرتّبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول شيئ عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جمّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتّصالها بما قبلها وما سيقت له"(23)، على أن هذا المبحث لم يلق كلّ الترحيب من علمائنا الأوائل وعلى رأسهم العز بن عبد السلام (ت 660هـ) ، والإمام الشوكاني (ت 1250هـ) ؛

فأما العزّ بن عبد السلام (ت 660هـ) فقد اشترط أن يكون هناك رابط معين بين الآية والأخرى، أو بعبارة أخرى أن تكون المناسبة في أمر متحد أمّا ما دون ذلك فهو من باب التكلّف وذلك حين يقول: " واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبّث بعضه ببعض لئلا يكون مقطعا مبترا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متّحد فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط بذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلاّ بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه..." (24)، وأما الشوكاني (ت 1250هـ) فله نفس الموقف تقريبا حين رفض المناسبة وخاصة لما تكون بين المقاطع المنفصلة حيث يقول: "اعلم أنّ كثيرا من المفسّرين جاؤوا بعلم متكلّف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلّم بمحض الرأي المنهيّ عنه في الأمور المتعلّقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا التّرتيب الموجود في المصاحف، فجاؤوا بتكلّفات وتعسّفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزّه منها كلام البلغاء فضلا عن كلام الربّ سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره، ومن تقدمه حسبما ذكره في خطبته، وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن القرآن ما زال ينزل مفرقا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول الله (ص) إلى أن قبضه الله عز وجل إليه"(25)، وفي هذا النصّ رفض قاطع لمبحث المناسبة بل فيه تشبيه لعمل المشتغلين به بالتفسير بالرأي المنهي عنه.

إن علم المناسبة إذا نظرنا إليه من زاوية لسانية حديثة، فإننا قد نكشف بلا شك قرب مفهومه من مفاهيم الانسجام في لسانيات النصّ الحديثة، لذلك عده غير واحد من الباحثين بأنه أحد آليات الانسجام في النظرية اللسانية العربية التراثية المستمدة أصولها من التفسير وعلوم القرآن، وقد فصّلنا فيه بالشكل السابق نظرا لاستواء أركانه ونضج إجراءاته التطبيقية ووضوح هدفه المتمثل في إيجاد الصلات المعنوية بين أجزاء النص القرآني، بما يجعلنا نقول إنها إحدى أهم الآليات التي توسل بها علماؤنا القدامي في سبيل إثبات انسجام القرآن الكريم من جهة وإثبات إعجازه من جهة ثانية. إلا أن هذا لا يعني مطلقا أن مبحث المناسبة هو وحده الآلية التي توسل بها الدارسون القدامى في سبيل بلوغ الهدف المسطر سابقا، وإنما نعثر في كثير من كتب التّفسير

على آليات عديدة تطورت مع تراكم الدراسات والبحوث المنصبّة على النصّ القرآني في سبيل اكتشاف عوالمه المتجانسة، وسنحاول فيما يلي إبراز بعض هذه الآليات في العصر الحديث كما هي في تفسير محمد الطاهر ابن عاشور المعروف بـ: "تفسير التّحرير والتّنوير" وذلك بهدف إبراز تماسك أجزاء القرآن أولا ، وإبراز تفطن علماء التفسير لأوجه الصلة بين أجزائه ثانيا.

لماذا سورة المجادلة؟

سورة المجادلة سورة مدنية ، وقد اخترنا في هذا المقام سورة من السور المدنية حتى نستبين حقيقة ادعاء المستشرقين السابق والذي مفاده أن السور المدنية قد تميزت بالتشتّت، وخلو الترابط بين أجزائها، فكيف استطاع محمد الطاهر ابن عاشور اكتشاف العلاقات الجامعة بين أجزائها، والعلاقات الرابطة فيها، وما هي الآليات التي توسل بها؟

البنيات النصية في سورة المجادلة:

لكل نص/خطاب مهما اختلف شكله وبنيته، مدار عام وموضوع جوهري وفكرة أساسية يدور حولها وسياق عام ، إلا أنه قد يبدو في بعض النّصوص نوع من التشتت وعدم التجانس، وبالتالي تلقى على عاتق القارئ مهمّة إثبات التشتّت من عدمه، على أن البنيات الشكلية ليست هي المعيار الأساس في الحكم على تشتت النصّ وتماسكه، لأنها مظاهر سطحية شكلية، وإنما المعول عليه في إمساك المعاني الكلية يكمن في مدى القدرة على النّفاذ إلى البنية العميقة للنصوص/ الخطابات، هذا العمل هو ما يسمّى بمحاولة تحديد البنيات الكبرى للنص/ الخطاب، وبنياتها العليا باعتبارها تتشكّل من " تجمّع بل اتحّاد مجموعة من الموضوعات المحورية المترابطة والمتعالقة بعضها مع بعض بعلاقات دلالية صريحة أو ضمنية، تتساند في سبيل تكوين المدار الأعم والموضوع الكلّي للنص"(26)، وهي الفكرة التي عناها فان دايك (V.Dijk) في تحديده للبنية العليا للنص حين يقول: "إن البنية العليا هي نمط من شكل النص (Textform)، موضوعه/ثيمته، ويعني ذلك أن البنية الكبرى هي مضمون النص (Textinhalt)" (27)، أما البنى الكبرى فهي مجموع الموضوعات المترابطة بعلاقات ظاهرة أو مضمرة، تجتمع لتشكّل البنية العليا أو الموضوع العام للنص، على أن مهمّة تحديد هذه البنيات ليست بالأمر المتاح لأيّ كان، بل وقد تختلف من قارئ لآخر تبعا لاختلاف أدوات قراءة النص، والخلفية المعرفيّة والثّقافية للقارئ؛ فهو " أمر شائك صعب لاعتماده على الحدس والتّخمين والقراءة المحيطة بالنصّ من

جميع جوانبه؛ فعلى الرغم من وجود مفاتيح دلالية في النصّ، فإن الجزم بذلك يظل أمرا عصيا لوجود أفكار وموضوعات متعددة في النص يحتملها، فضلا عن تفاوت المتلقّين في مستويات الفهم، وتعدد رؤاهم ومنطلقاتهم وتأويلاتهم إلى جانب حقيقة قارة، هي أن للنصّ دلالات ومقاصد مسكوتا عنها مطمورة في طيّاته إلى جانب المصرّح به"(28).

وبالعودة إلى سورة المجادلة فإن محمد الطاهر ابن عاشور يحدد بنياتها الكبرى في مستهل تفسيره لها بعد الحديث عن تسميتها، هذه البنيات لخصّها في قوله: " الحكم في قضيّة مظاهرة أوس بن الصامت من زوجه خولة، وإبطال ما كان في الجاهلية من تحريم المرأة إذا ظاهر منها زوجها، وأن عملهم مخالف لما أراده الله وأنه من أوهامهم وزورهم التي كبتهم الله بإبطالها، وتخلص من ذلك إلى ضلالات المنافقين، ومنها مناجاتهم بمرأى المؤمنين ليغيضوهم ويحزنوهم، ومنها موالاتهم اليهود وحلفهم على الكذب، وتخلل ذلك التعرض لآداب مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وشرع التصدّق قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم والثناء على المؤمنين في مجافاتهم اليهود والمشركين، وأن الله ورسوله وحزبهما هم الغالبون"(29)، هذه هي البنيات الكبرى للسورة والقضايا الأساسية التي تشتمل عليها، وإن المتفحّص والمدقّق ليراوده التساؤل عن الكيفيات التي انتظمت بها هذه المواضيع التي تبدو متنافرة في سورة واحدة، بل وعن الكيفية التي اجتمعت بها، وتآلفت وعن العلاقات الدلالية التي تربط هذه الأجزاء بعضها ببعض، وهي الإجابة التي نجدها شافية عند المفسّر في تفصيله لأجزاء السورة ، وبالعودة إلى البنيات الكبرى السابقة يمكننا أن نستهدي بما أشار إليه "سيد قطب" في تفسيره وإشارته إلى المعنى الإجمالي للسورة أو البنية العليا للسورة، وذلك حين أشار إلى ذلك بقوله:" في هذه السورة بصفة خاصة نشهد صورة موحيّة من رعاية الله للجماعة النّاشئة وهو يصنعها على عينه، ويربّيها على منهجه، ويشعرها برعايته، ويبني في ضميرها الشعور الحيّ بوجوده- سبحانه- معها في أخصّ خصائصها، وأصغر شؤونها، وأخفى طواياها، وحراسته لها من كيد أعدائها خفيّه وظاهره، وأخذها في حماه وكنفه، وضمّها إلى لوائه وظله، وتربية أخلاقها وعاداتها وتقاليدها تربية تليق بالجماعة التي تنضوي إلى كنف الله، وتنتسب إليه، وتؤلف حزبه في الأرض، وترفع لواءه لتعرف به في الأرض جميعا"(30)، فإن السورة في مجملها وفق هذا التصور هي لمحة من لمحات العناية الإلهيّة بالمجتمع الإسلامي، ورعايته سبحانه لها في أصغر أمورها كما هي ظاهرة للعيان، وملمح من ملامح حفظ المجتمع الناشئ من كيد

الكائدين، وتهذيب سلوك المجتمع الفتي بما يتناسب مع تعاليم الإسلام. وإنّنا نعود في نفس السيّاق إلى طرح التّساؤل الجوهري وهو كيف انتظمت كل هذه الأمور في سورة واحدة؟

العلاقات الدلالية في البنيات النصية الكبرى لسورة المجادلة:

تلعب العلاقات الدلاليّة في مستوى النصّ أهمية قصوى في ربط أجزاء النص بعضها ببعض، وتسهم بشكل أكبر في إمكانيّة تقديم تأويل أقرب للنصّ، بل وهي عامل مهم في تحقيق ما يسمى بانسجام النصوص/ الخطابات، ذلك أنه "حتى يكون المقطع أو النصّ منسجما، يجب أن تكون الأفعال (والأحداث) الدائرة في عالمه مترابطة من وجهة نظر لسانية ودلالية، باعتبار معرفة القارئ بالعالم"(31)، أمثلة هذه العلاقات كثيرة كالسبب والمسبب والإجمال والتفصيل وغيرها، وهي في مجملها "علاقات متواجدة عبر مساحة النصّ محقّقة تماسكا دلاليّا بين بنياته، كما لها دور الإخبار من أجل تحقيق درجة معينة من التّواصل"(32)، وقد جعل "دي بوجراند" (R. de beaugrande) شرط تحقق معيار الحبك (الانسجام) هو توفّر العلاقات الدلاليّة بين أجزاء النص "فهو معيار يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص textual world ، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلّى في منظومة القيم concept والعلاقات relations الرابطة بين هذه المفاهيم "(33)، والعلاقات الدلاليّة في مستوى النصّ –أيّ نص– كثيرة لا مجال لحصرها في هذا المقام قد أفاض كثير من الباحثين في تفصيلها(34)، وإنما يهمنا البحث في أشكال العلاقات الدلاليّة بين البنيات الكبرى للسّورة كما أبرزها صاحب التفسير.

أ – **الاستئناف البياني (البيان والتفسير)**: إن الحديث عن هذه العلاقة الدلالية التي يكثر تواردها في سورة المجادلة –كما يرى ذلك محمد الطاهر ابن عاشور– سيقودنا بلا شك إلى الحديث عن باب مهم من أبواب البلاغة العربية وعلم المعاني على وجه التحديد، وهو باب الوصل والفصل، كما سيؤكد لنا قيمة المباحث اللغوية والبلاغية عند صاحب التفسير، وإذا كان ابن عاشور قد اهتم كثيرا بهذا الباب البلاغي في تفسيره، فلأنه يبرز كما أشرنا جانبا من شخصيته اللغوية المقتدرة "لأن إدراك مواطن الفصل والوصل لا تتأتّى إلا للعرب الخلّص، لأن اللّغة لغتهم وهم ينطقون بها عن سليقة، كما لا تتأتى إلا لمن طبعوا على البلاغة وأوتوا حظا من المعرفة في ذوق الكلام"(35)، والحقيقة أن الاستئناف البياني عند ابن عاشور هو الموضع الثالث من الموضع التي يجب فيها الفصل بين الجملتين، ويصف البلاغيون هذه العلاقة بين الجملتين بقولهم: "شبه

كمال الاتصال"، وذلك "أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى"(36)، وهو ما يسميه ابن عاشور في تفسيره "بالاستئناف البياني"، إذ يشير إلى نوع من العلاقات الجامعة بين الآيات دون الحاجة إلى رابط من الروابط الشكلية كحروف العطف، وإنما يكفي الرابط المعنوي بينهما القائم على تصور سؤال وجواب بين الآية الأولى والثانية، فهو عبارة عن " علاقة تخص الآيات فيما بينها، في غير ما حاجة إلى رابط شكلي، مما يعني أن هناك ارتباطا معنويا بيانيا خفيا بين اللاحق المبيِّن والسّابق المبيَّن، وبالتالي يعتبر اللاحق دائما رافعا للإبهام أو الالتباس الذي يلحق السابق، كما قد يكون تفسيرا له"(37)، وإذا عدنا إلى تفسير سورة المجادلة فإننا نجد أن هذا النوع من العلاقات هو الأكثر ورودا ومن أمثلته ما يلي:

العلاقة الجامعة بين الآيتين الأولى والثانية في سورة المجادلة وذلك في قوله تعالى﴿: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ(١) ﴾وبين قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ(٢) ﴾ لحيث يرى ابن عاشور أن الآية الثانية استئناف بياني للآية الأولى ؛ حيث جاءت مبينة لها وفي ذلك يقول: "... ولها (أي الآية الثانية) موقع الاستئناف البياني لجملة " قد سمع" لأن قوله "قد سمع الله" يثير سؤالا في النفس أن تقول : فماذا نشأ عن استجابة الله لشكوى المجادلة فيجاب بما فيه المخرج لها منه"(38)، فالظاهر غياب العلاقة أو الرّابط الشكليّ بين الآيتين الكريمتين، إلا أنّ هذا لم يمنع وجود العلاقة المعنويّة القائمة على تصوّر التساؤل القائم في النفس المتلقيّة للآية الكريمة الأولى عن جواب المولى عزّ وجل عن شكوى المجادلة، وكشف ما بها من ضرّ لحقها من الظّهار، فالعلاقة قائمة على هذا التصوّر النفسي، والذي هو جانب من جوانب الرّحمة الإلهية بهذه المرأة الملهوفة.

ومن أمثلته أيضا العلاقة الجامعة بين الآيات في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) وقوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ(١٦)﴾ فقد بين ابن عاشور وجه العلاقة الدلالية بين الآيتين السابقتين والآية الأخيرة ، إذ في الأصل هناك فصل بينهما ناتج عن غياب الرابط "الواو" تحديدا بين الآيتين، إلا أن الرابط معنوي يستشفّ من دلالة الآيتين؛ ذلك أنّ القارئ قد يستشعر نوعا

من الإجابة اشتملتها الآية الأخيرة عمّا ورد في سابقاتها، ففي تعليق ابن عاشور على هذه الآية الأخيرة وعلاقتها بما سبق يقول: " جملة مستأنفة استئنافا بيانيا عن جملة "ويحلفون على الكذب وهم يعلمون"، لأن ذلك يثير في سؤال سائل أن يقول: ما ألجأهم إلى الحلف على الكذب، فأجيب بأن ذلك لقضاء مآربهم وزيادة مكرهم " فإن الذي يدفعهم إلى هذا الفعل وهو في قوله تعالى "يحلفون على الكذب" هو صدّهم عن سبيل الله واتخّاذهم الأيمان وقاية لهم وسترا لهم على كذبهم وافترائهم.

ومن مواضعه أيضا في السورة ما جاء بين الآيتين في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨)﴾ وقوله أيضا: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) ﴾ فإنّ الآية الثانية في نظر ابن عاشور هي جواب عن حال هؤلاء المنافقين الذين أوغلوا في الكذب، فكان الجواب على ذلك باستحواذ الشيطان عليهم وسيطرته أيضا على أفعالهم وأقوالهم، وفي هذا يقول ابن عاشور: " ..لأنّ ما سبق من وصفهم بانحصار صفة الكذب فيهم يثير سؤال السّامع أن يطلب السبب الذي بلغ بهم إلى هذا الحال الفظيع فيجاب بأنه استحواذ الشيطان عليهم وامتلاكه زمام أنفسهم يصرّفها كيف يريد وهل يرضى الشيطان إلا بأشدّ الفساد والغواية"(39)، فإنّ العلاقة الدلالية القائمة بين الآيتين هي التي برّر بها ابن عاشور تجاور الآيتين على الرغم من غياب الرابط الشكلي. وهكذا يستمر ابن عاشور في تقديم العلاقة المعنوية في الربط بين البنيات النصيّة للسورة الكريمة وهكذا فعل في تفسيره لسور القرآن.

ب– المناسبة:

اهتم ابن عاشور بتتبع المناسبات بين الآيات القرآنية بعضها ببعض، وذلك على الرغم من أنه لم يهتم كثيرا بكل أنواع المناسبات، على غرار مناسبة السورة للسورة إلا فيما نذر، إلا أن اهتمامه بمناسبة الآية للآية المجاورة لها في النصّ القرآني حاز على حصة الأسد في مبحث المناسبة عنده، وقد بيّن ابن عاشور موقفه من المناسبة في مقدّمة تفسيره، وحديثه عن ترتيب الآي والسور في القرآن الكريم، وإنّ عناية المفسر بهذا المبحث الدقيق واللطيف معا، تبرز لنا جانبا آخر مشرقا

من جوانب الشخصية الدّينية اللّغوية للطاهر ابن عاشور، وقد سبق في حديثنا عن هذا المبحث إشارتنا أنه من بين الوسائل التي بها برهن المفسرون، وعلماء القرآن بها على اتصال الآيات بعضها ببعض معنويا ودلاليا، ويمكن أن نتبين ذلك واضحا في أمثلة ابن عاشور في تفسيره لسورة المجادلة، فهو باب من أبواب الترابط الدّلالي في نسيج النص:

من أمثلة عناية ابن عاشور بالمناسبة ما نجده في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ(٥)﴾ فهي تتناسب قبليا مع الآيات السابقة التي ذكر فيها الحدود (حدّ الظّهار)، وذكر فيها الكفّار خاصة في نهاية الآية الرابعة، وإن المتأمل يجد أن الآية الخامسة تشكل بنية نصية أخرى كبرى من البنيات المشكلة للنصّ، وهنا نتساءل عن الرابط المعنوي بين البنيتين الأولى التي ذكر فيها أحكام الظّهار ، وبين هذه البنية الثانية المتعلقة بالتحذير من المنافقين والكفّار، وفي هذا الموضع يأتي مبحث المناسبة ليقدم لنا وجه العلاقة بين البنيتين، بما يبرّر هذا الانتقال من موضوع لآخر في البنيّة النصيّة للقرآن بما يسهم في تبرير هذا الانتقال، ويقدّم العلاقة الحقيقيّة بين البنيتين النصّيتين، ووجه الصلة الدلالية بينهما وفي هذا السيّاق يعلق ابن عاشور على هذا الانتقال بقوله: " لما جرى ذكر الكافرين وجرى ذكر حدود الله وكان في المدينة منافقون من المشركين، نقل الكلام إلى تهديدهم وإيقاظ المسلمين للاحتراز منهم"(40)، وهو ما يتجلى واضحا في الآيات اللاحقة حين عدد خصالهم ونبه المسلمين إليهم، وعليه فإن الانتقال لم يكن مقطوعا، ولم يكن اعتباطا، بل هناك جانب من المناسبة بين الآيتين، تحكّمت فيه ضرورة تنبيه المسلمين من المنافقين ، وهذا التّهديد استدعاه وجود عدد من المنافقين بين المسلمين في المدينة وبالتالي استرعى التنّبيه منهم.

ومن أمثلة الناسبة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(٩)﴾ فقد ذكر ابن عاشور وجهين في تفسير الآية؛ "فيجوز أن تكون خطابا للمنافقين الذين يظهرون الإيمان، فعاملهم بما أظهروه وناداهم بوصف الذين آمنوا"(41)، ولم يذكر ابن عاشور لهذه الآية بهذا الوجه مناسبة لأنها ستكون في سياق واحد متصل مع سابقاتها في تعداد صفات المنافقين وأخلاقهم، إلا أنّ الوجه الذي يتطلب مناسبة هو الوجه الثّاني للآية والذي ذكره ابن عاشور في كون المقصود بالآية هم المؤمنون أنفسهم إذ يقول: " ويجوز أن يكون خطابا للمؤمنين الخلّص بأن

وجّه الله الخطاب إليهم تعليما لهم بما يحسن من التناجي وما يقبح منه" والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق عن وجه الصّلة والمناسبة بين الأمرين، وهذا الانتقال من الحديث عن المشركين إلى الحديث عن المؤمنين في سياق واحد، أي الحديث عن الآداب والنجوى تحديدا، فيجيب ابن عاشور على ذلك بكون هذا الانتقال هو تعليم للمؤمنين وتنبيه لهم من أفعال المنافقين، فالانتقال إلى الحديث عن المؤمنين جاء "بمناسبة ذمّ تناجي المنافقين فلذلك ابتدئ عن مثل تناجي المنافقين وإن كان لا يصدر مثله من المؤمنين تعريضا بالمنافقين، مثل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم" ويكون المقصود من الكلام هو قوله "وتناجوا بالبرّ والتقوى" تعليما للمؤمنين﴾ (42)، وهكذا يبرّر ابن عاشور الانتقال من بنية نصية إلى أخرى في النص القرآني بمثل هذه العلاقات الدلالية الخفية التي تربط بين الآية والأخرى.

ومن أمثلة المناسبة أيضا في السورة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)﴾ فالظاهر في بنية النصّ أن هناك تفكّكا في نسيجه ذلك أنّ الآية جاءت متوسّطة بين الآيات المتعلقة بالنّجوى، وقد وجد ابن عاشور تفسيرا مقنعا لهذا الفصل حين قال: " فصل بين آيات الأحكام المتعلقة بالنجوى بهذه الآية مراعاة لاتحاد الموضوع بين مضمون هذه الآية ومضمون التي بعدها في أنهما يجمعهما غرض التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وتلك المراعاة أولى من مراعاة اتحاد سياق الأحكام"(43)، فقد اشتركت هذه الآية مع الآية التي تليها في صفة التأدب مع رسول الله (ص) فالأولى متعلقة بالأدب في المجلس والثانية تتعلق أيضا بالأدب في مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا الاتحاد في جنس النّجوى هو مبرّر للانتقال من النوع الأول الخاصّ بالمنافقين، إلى النوع الثّاني الخاص بمناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنّه فصل بينهما لتفضيل الثانية على الأولى "فاتّحاد الجنس في النّجوى هو مسوّغ الانتقال من النوع الأول إلى النوع الثّاني، والإيماء إلى تميزها بالفضل هو الذي اقتضى الفصل بين النوعين بآية أدب المجلس النبوي"(44)، ويذكر ابن عاشور وجها آخر من أوجه المناسبة بين الآيتين يتمثل في اتحاد نيّة المنافقين في قضية النجوى ومكرهم فيها مع مكرهم أيضا في قضية المجلس(45)، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور حين يقول:

"وأيضا كان للمنافقين نيّة مكر في قضية المجلس ،كما كان لهم نيّة مكر في النجوى، وهذا مما أنشأ مناسبة الانتقال من الكلام على النّجوى إلى ذكر التفسّح في المجلس النبوي الشريف"(46)، فسبب هذا الانتقال هو اتّحاد نيّة المشركين في الحالتين التي يجمع بينهما المكر والخديعة سواء في قضية المجلس أو النجوى، وهو عامل كاف ليبرر وجود الآية الفاصلة بين آيات النجوى.وما قيل عن هذا الموضع يقال أيضا في قوله تعالى: ﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧)﴾ فهي مناسبة للآية السابقة التي ذكر في المولى عزّ وجل اتخاذهم الأيمان جنة لهم وصدهم عن سبيل الله في قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) ﴾ فوجه المناسبة بين الآيتين كما يرى ابن عاشور يكمن في اجتماع معناهما، ذلك أن المخاطبين فيها لم يفلحوا لا في الأولى ولا في الثانية "فكما لم تقهم أيمانهم العذاب، لم تغن عنهم أموالهم ولا أنصارهم شيئا يوم القيامة"(47)، فإن اتحاد المعنى سبب في تجاور الآيتين كما يرى ابن عاشور.

إن المتتبع لمنهج ابن عاشور في تفسيره سيعثر بلا شك على كم هائل من المناسبات سعى من خلالها على إبراز أوجه التلاحم الدلالي بين الآيات القرآنية بما يقرر ويثبت الانسجام والتماسك في البنية النصية.

ج- الإجمال والتفصيل:

تعد علاقة الإجمال والتفصيل من أكثر العلاقات الدلالية التي اهتم بها المفسّرون في مقاربتهم للنصّ القرآني ، ويبدو أن مصطلح المجمل يعود إلى الدراسات الفقهية خصوصا أصول الفقه، أما عن فحوى هذه العلاقة الدلالية فهو " أن يأتي في الكلام شيء مجمل ثم يرد تفصيله لمزيد تقرير المعنى في النفس"(48)، أو هو "إيراد المعنى على سبيل الإجمال ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه"(49)، وسبب اهتمام المفسرين بهذه العلاقة هو رغبتهم في بلوغ الفهم الأمثل للآيات القرآنية. ويمكن أن نقف عند هذا النموذج في سورة المجادلة في الآية الثانية في قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢)﴾ حيث جاءت هذه الآية وما بعدها من الآيات التي تبين مختلف أحكام الظّهار بمنزلة المفصل والشارح للإشارة

التي جاءت في الآية الأولى، والتي أشارت إلى قصة المرأة التي جاءت تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما نصّ عليه ابن عاشور بقوله: " تتنزل جملة (الذين يظهرون منكم من نسائهم) وما يتم أحكامها منزلة البيان لجملة (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) الآية لأن فيها مخرجا مما لحق بالمجادلة من ضر بظهار زوجها وإبطالا له"(50)

د– التعليل:

تعتبر علاقة التعليل من العلاقات التي تتجاذبها ثلاثة مجالات على الأقل في الثقافة العربية الإسلامية وهي : المجال الفلسفيّ والنحويّ والبلاغيّ ، وقد تسرّبت معاني هذه المجالات بأشكال وأحجام مختلفة أيضا إلى التفسير(51)، وتعني هذه العلاقة في عرف المناطقة" انتقال الذّهن من المؤثّر إلى الأثر كانتقال الذهن من النار إلى الدخان"(52)، أو بتعبير آخر" إظهار عليّة الشيء سواء كانت تامة أو ناقصة، والصواب أن التعليل: هو تقرير المؤثّر لإثبات الأثر"(53)، ويمكن أن نقف على نماذج منها في تفسير السورة كما في قوله تعالى في الآية: ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ(٢)﴾ فقد فصل القول في تعبير العرب وتصريحهم للفظ الظهار، وأشار إلى أن ادعاءهم في تعبيرهم عن الأمر بقولهم "أنت عليّ كظهر أمي، أو أنت منّي مثل ظهر أمي.. وما إلى ذلك من صيغ العرب المتعارف عليها في هذا السياق، كل هذه التعابير لا تحقق صفة الأمومة في الزوجة، إذ هي صفة لا تتحقق بالقول، لذلك عقب بقوله:"إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم" وبالتّالي فإن العبارة الأخيرة تعليل للجملة السابقة، وفي هذا يقول ابن عاشور:" وجملة (إن أمهاتهم) إلخ واقعة موقع التعليل لجملة (ما هن أمهاتهم)، وهو تعليل للمقصود من هذا الكلام . أعني إبطال التحريم بلفظ الظّهار إذ كونهن غير أمهاتهم ضروري لا يحتاج إلى التعليل"(54)، أي أن تلفّظهم بهذا القول لا يعني تحريم الأزواج عليهم، لأن قولهم هذا لا يمكن أن يغير الحقائق فيجعل الزوجة بمنزلة الأمهات المحرمة عليهم.

فهذه بعض العلاقات التي حاول من خلالها ابن عاشور إثبات الصلات المعنوية بين آيات السورة ومقاطعها، بما ينفي وجود التشتت والانقطاع بين معاني النصّ القرآني والسورة تحديدا. ويمكننا في ختام هذا البحث أن نسجل مجموعة من النتائج نذكر بعضها:

1- لم يعدم المتن التفسيري الآليات الإجرائية التي يتوسّل بها من أجل إثبات نصّية القرآن، وإثبات أشكال التلاحم والتآزر بين آياته وسوره ومقاطعه، بما يجعلنا نطمئن إلى كثير من المحاولات في هذا المتن الضخم الممتد منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا.

2- تقترب كثير من الآليات الإجرائية التي توسل بها المفسرون في سبيل إثبات تلاحم وترابط أجزاء القرآن من كثير من المفاهيم الحديثة في مجال لسانيات النص، فقد تنّبه المفسّرون القدامى إلى ضرورة توافر نوع من الترابط والتلاحم بين أجزاء أي بنية لغوية حتى يصدق عليها مفهوم النصّ، ولعلنا نرى جهودهم بارزة في هذا المجال من خلال محاولة اكتشاف أشكال هذه النصّية ووسائلها، فكان مبحث المناسبة بما يقدمه من تأويلات وتبريرات لانتظام أجزاء القرآن وآياته بعضها مع بعض، مبحثا يمكن الاعتداد به والركون إليه والاطمئنان إلى إجراءاته الرّامية إلى تلاحم النصّ القرآني وانسجامه، ونفس الأمر يقال بالنسبة للآليات الأخرى كالعلاقات الدّلالية والسيّاقية التي استعان بها المفسّرون من أجل بلوغ نفس الغاية السّابقة.

3- تفقد ادّعاءات المستشرقين وشبهاتهم في النصّ القرآني عند مواجهتها بمثل هذه المحاولات، فإن ما ادعوه بوجود فجوات في أجزاء النصّ ناتجة عن العمل البشري أساسا في ترتيب سور وآيات القرآن، وحفظها ونقلها، هذه الدعوات تفقد مشروعيتها عند أول محاولة جادة لإبراز تماسك النص القرآني وتلاحم أجزائه.

4- لم يشذ محمد الطاهر ابن عاشور عن المفسّرين السّابقين في استعانته بالوسائل اللّغوية وغير اللّغوية لإثبات مستوى معيّن من التّلاحم بين الآيات والمعاني القرآنية، فاعتنى بعلم المناسبة وأفاض فيه، وأبرز وجوه ارتباط الآيات بعضها ببعض، وبيّن مختلف العلاقات الجامعة للنصّ القرآني.

وختاما يمكننا القول إن الجهد التّفسيري في هذا المجال –أي في محاولة إثبات تلاحم أجزاء النصّ القرآني– مجال يغري الباحث فيه، ويفتح أمامه أفقا فسيحة خاصة إذا تمّ ربط منجز النظريّة التفسيريّة بمباحث علم اللغة الحديث، وهو المجال الذي يتطلّب عناية الباحثين واهتمام الدارسين.

الهوامش:

1. جمال بندحمان: الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري: التشعب والانسجام، ط1. الدار البيضاء: 2009، مطبعة النجاح، ص 13.
2. للوقوف أكثر على هذا الاختلاف ينظر: ميلود مصطفى عاشور، إياد عبد الله: "فوضى تعريب مصطلحي (Cohesion coherence)" مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، أفريل 2016، السنة الرابعة ، ع 10، ص 125 وما بعدها.
3. محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط3. الدار البيضاء: 2009، المركز الثقافي المغربي، ص 5-6.
4. فتحي رزق الخوالدة: تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان احد عشر كوكبا، ط1. الأردن: 2006، أزمنة للنشر والتوزيع، ص333.
5. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1. الجزائر: 2008،منشورات الاختلاف، ص 21
6. جاك موشلر، آن ريبول: المعجم الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة، إشراف: عز الدين المجدوب، ط2، تونس :2010، دار سيناترا، ص500
7. رشيد برقان: آليات ترابط النص القرآني،ط1. الدار البيضاء: 2015، أفريقيا الشرق، ص54
8. ليس المقصود بالقراءة في هذا المقام ما تعارف عليه التراث الديني بمصطلح القراءات القرآنيّة، وإنما المقصود في هذا المقام هو عملية الفهم
9. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: م ركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، والدعوة والإرشاد، السعودية: 1426هـ، ج3 323.
10. فتيحة بوسنة: انسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي: مقاربة تداولية،ط1. الجزائر: 2012، دار الأمل، ص 157.
11. أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن، دط. الدار البيضاء: 1992، مطبعة النجاح الجديدة ص36.
12. [12] عبد الرحمن بودرع: الخطاب القرآني ومناهج التأويل، نحو دراسة نقدية للتأويلات المعاصرة. ط1. الرباط: 2013، الرابطة المحمدية للعلماء، ص129

13. المصطفى تاج الدين: "التحليل اللساني وعالمية القيم الدينية"، مجلة الإحياء، المغرب: الرابطة المحمدية للعلماء، ع 32-33، ص174.
14. رمضان حينوني: المستشرقون وبنية النص القرآني، دط. عمان: 2013، دار اليازوري العلمية، ص45.
15. محمد هلال: ترتيب نزول سور القرآن، ط1.عمان: 2009، دار الياقوت للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ص 23.
16. إيجناس جولدتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، تر: محمد يوسف موسى وآخرون، دط. القاهرة:2013، المركز القومي للترجمة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ص 305.
17. 17 لمزيد من التفصيل في هذا الأمر ينظر: محمد أحمد يوسف القاسم: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، وكذلك : أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن.
18. عبد العال محمد الجبري: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ط1. القاهرة: 1988، مكتبة وهبة،ص 143.
19. أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ط1. مصر: 1979، دار المطبوعات الدولية، ص 503.
20. رفعت فوزي عبد المطلب: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، ط1. 1986، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ص07.
21. البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دط،. القاهرة: 1984 دار الكتاب الإسلامي ، ج1، ص6.
22. برهان الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،دط، مصر: دت، دار التراث ج1، ص35.
23. المصدر نفسه، ج1، ص37
24. العز بن عبد السلام، كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تح: محمد بن الحسن اسماعيل، دط. بيروت: 1985، دار الكتب العلمية، ص221.
25. الشوكاني: فتح القدير،مراجعة: يوسف الغوش، ط4. بيروت:2007، دار المعرفة، ص50.
26. فخرية غريب قادر، الانسجام في الخطاب القرآني،دراسة نصية في السور الموسومة بالعتاق الاول، ط1.الأردن:2017، عالم الكتب الحديث، ص316.
27. فان دايك: علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري،ط1.القاهرة:2001، دار القاهرة للكتاب،ص 209.

28. فخرية غريب قادر، المرجع السابق، ص 317.
29. محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دط. تونس: 1984، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ج28، ص6
30. سيد قطب، في ظلال القرآن، ط32، القاهرة: 2013، دار الشروق، مج 06، ص 3506.
31. سعدية بن سالم: "نحو النص وانسجام الخطاب، قراءة تطبيقية على مجموعة إبراهيم الكوني أساطير الصحراء"، مجلة الحياة الثقافية، تونس، ع 235، 2012، ص23.
32. بن الدين بخولة: الاتساق والانسجام النصي الآليات والروابط، دط. الجزائر: 2004، دار التنوير، ص 34.
33. جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دط، القاهرة: 1998، الهيئة المصرية للكتاب، 141.
34. لمزيد من التفصيل في بحث العلاقات الدلالية في مستوى النص ينظر: جميل عبد الحميد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 142 وما بعدها، وفخرية غريب قادر: الانسجام في الخطاب القرآني، ص 320 وما بعدها.
35. عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ط. لبنان: 2009، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ص 160.
36. المرجع نفسه ، ص 164.
37. سعيد تومي: "المستوى النصي في الخطاب القرآني" مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوث ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ،ع15، 2013، ص143.
38. محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج28، ص10.
39. المصدر نفسه، ج28، ص54.
40. المصدر نفسه ، ج 28، ص23.
41. المصدر نفسه، ج28، ص32.
42. المصدر نفسه ، ج28، ص33
43. المصدر نفسه، ج28، ص36
44. المصدر نفسه، ج28، ص36.
45. نقل ابن عاشور القصة في تفسيره وصور مكر المنافقين فيها حين قال في معرض تفسيره للآية " روي عن مقاتل أنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصُفّة، وكان في المكان ضيق في يوم الجمعة، فجاء من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس، قد سُبقوا في المجلس، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يفسح لهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر، فقال لمن حوله: قم يا فلان بعدد

الواقفين من أهل بدر، فشق ذلك على الذين أقيموا، وغمز المنافقون وقالوا: ما أنصف هؤلاء، وقد أحبوا القرب من نبيئهم فسبقوا إلى مجلسه فأنزل الله هذه الآية تطييبا لخاطر الذين أقيموا ...

46. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج28 ، ص 37.
47. المصدر نفسه، ج28، ص50.
48. رشيد برقان، آليات ترابط النص القرآني، ص202.
49. جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، 146.
50. محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 28، ص10.
51. رشيد برقان: آليات ترابط النص القرآني، ص222.
52. الشريف الجرجاني: معجم التعريفات،تح: محمد صديق المنشاوي،دط. القاهرة: 2004، دار الفضيلة،
53. المصدر نفسه، ص55.
54. محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 28، 13.